انتفاض للمنطق الإلهي[1]
قراءة في رواية اعشقني
للأديبة الأردنية الدكتورة سناء الشعلان

بقلم: أحمد طه حاجو/ العراق

اعشقني . يتبادر إلى الذهن منذ الوهلة الأولى للقارئ إنها رواية رومانسية وتتكلم عن قصة حب فقط ..أو إنها خيالية وتتحدث خارج الزمن .. لكن الحقيقة إنها لم تتناول قصة عاشقين فقط بل اختصرت تاريخ البشرية وموروثاتها وعاداتها ومعتقداتها وطبائعها وزيفها وآلامها وحزنها ..

استطاعت الكاتبة من خلال خيالها أن تنير فكر القارئ وتأخذه لفضاء رحب من خلال ثراء روايتها بالدلالات والمعاني والصور الكثيفة فقد كانت تثير أسئلة نائمة وتحفزها على النهوض وتضع أجوبة ونراها تقفز من زمن المستقبل إلى الماضي ومن الحاضر إلى المجهول .

رواية اعشقني هي عبارة عن مزيج متجانس من السريالية والرمزية والواقعية والرومانسية المفرطة وأيضا احتوائية أي جمعت الوضوح مع الحلم مع الافتراضية مع رسوخها بالواقع . ونرى من خلال رسائل خالد لحبيبته شمس وخزات وتنبيهات مستترة توخز بها رجولتنا وضمائرنا علنا نستفيق وننتفض للمنطق الإلهي الذي يتعمد البعض تجاهله .

إن رشاقة الكلمة وعمقها والأسلوب البليغ لدى الكاتبة يأخذنا بين الحين والآخر لأجواء وردية رومانسية وهي بمثابة ومضات ترويحية كي تزيل الشجن والألم المثني بين طيات حياة شمس . كما إن الكاتبة اعتمدت في بناء روايتها على الخيال العلمي والافتراضية المبالغ بها والتلاعب بالزمن وهذه الفنتازية المزدوجة أضافت عنصر الدهشة والإثارة والتشويق للرواية . وبطريقة الساحرة العارفة كانت توزع الكاتبة زهورها كما تشاء مما أدى إلى شد فكر القارئ وكتمت أنفاسه منذ البداية كي يبقى يقظ وفارض رغبته للمواصلة في القراءة . هذه الرواية ذكرتني بمسرحية (حياتنا السعيدة) لبيكيت . حيث الرمزية والعمق.

اختصرت الكاتبة الشعلان النساء بشخصية شمس وأظهرت كيف للمرأة ان تكون ، فكانت شمس أسطورة زمانها حيث لا أتوقع من أي قارئ للرواية أن لا يقع في غرام شمس كيف لا وهي الناكرة لذاتها والمضحية

[1] نشرت في جريدة الزمان ، السنة 17، العدد (4960) الثلاثاء 25/11/2014 .

والصابرة والمنتظرة لحبيبها والمخلصة له والناقمة لعادات القبيلة البالية والأنظمة غير العادلة في شتى بقاع المعمورة فقد واجهت الظلم وعبّرت عن رأيها ودافعت عن حقها ولم تستسلم رغم تعرضها للتعذيب من قبل السلطة الكونية .

ثم نجد أنفسنا واقفين احتراما وإجلالا لخالد محبوب شمس . الأسمر الذي استطاع بعفوية وعقلانية ومنطقية أن يجعل شمس تعشقه حتى النخاع و أن لا ترى الدنيا إلا من خلال عينيه . كانت هذه دعوة ، كي نعيد النظر بعلاقاتنا الإنسانية وكيف يجب أن تكون.

لم تكن رواية اعشقني رومانسية فقط كما أسلفت بل كانت رسالة احتوت الإنسانية كلها . الرسائل التي كان يرسلها خالد لشمس والقصص المكتوبة لإبنتهما ورد التي لن تولد بعد ، كانت عبارة عن صورة ومعانٍ سخرتها الكاتبة بنسق هادف سلس كي تمرر من خلالها رسالتها الإنسانية وهدفها المرجو . فقد استبعدت الكاتبة الرتابة والنمطية التي كانت من الممكن قد تولد .

وفي الفصل السابع نجد تمرد شمس على قانون حكومة المجرة عندما منعوها من إطلاق شعرها التي كانت تعتبره رمز أنوثتها وجمالها وتعرضت بسبب معارضتها لمجتمعها للتعذيب والسجن .وكانت هذه الصورة دلالة واضحة وترجمة لإضطهاد المرأة وفق معاير مجتمعاتنا التي تصرح باحترام الحقوق وبالخفاء تفعل نقيضه .

فالرواية تعيد لنا رغبتنا النائمة نحو الإحساس بالرومانسية واللحظات الحالمة التي ينبغي ان نعيشها ، وأيضا تحارب ما يهين إنسانيتنا والمفروض علينا والذي استسلم له الأغلبية من مجتمعنا.

إن رواية اعشقني احتوت زمن نعيشه بكل تفاصيله الدقيقة وتعطي لنا الحل الأمثل لما ينبغي أن يكون . إذن لم تكن رواية أدبية فقط بقدر ما كانت إصلاحية إرشادية تحمل بين طياتها رسالة السمو بالإنسانية المفقودة في زماننا العربي ..

أيضا نرى هناك دعوة للرجل في الإحساس أكثر بالمرأة ولأحاسيسها وآلامها ومشاعرها ، حيث جعلت الرجل بذهنه يحتوي جسد شمس وجعلت جسد شمس يحتوي ذهن الرجل وبهذا الانصهار بالأخر نرى إن الكاتبة أكدت بصورة سحرية على أن ضرورة للاحتواء والاحتياج المستمر بين الرجل والمرأة لا ماديا فقط كما متعارف هو حاليا بل قصدت الأحتواء الفكري والروحي من قبل الطرفين كي تزهر وتنمو حياتهم وكي ينيروا طريق الأبناء والمجتمع أيضا .

ونرى من خلال الحوارات للرجل صاحب الذهن الذي احتواه جسد شمس والتساؤلات التي أثارها والأجوبة المنطقية التي توصل إليها . أبرزت كينونة المرأة جسديا وعاطفيا جعلت الرجل يُغير نظرته العدائية الأولى لها وحولتها إلى عشق حتى النخاع وذلك لتضحيتها وسمو نفسها وبعد نظرها . أيضا كانت هناك دعوة للنساء للبحث عن الحب الخالد السامي والنقي .

وظّفت الكاتبة فكرتها كي تبحث بكل تفاصيل المرأة إبتداءً من الجسد وأسراره حتى العلاقة الزوجية الروحية التي اعتبرتها أساس السعادة والآمان.

الحب هو البعد الخامس للأشياء والحياة والوجود وبدونه لا حياة ولا أمان ولا منطق ، كما تطرقت الكاتبة للغربة والعزلة الحارقة التي تعاني منها المرأة بطبيعتها وكيف تكون أسيرة لمواقفها عندما ترتبط حياتها بإنسان . وأكدت الكاتبة إن سر رخاء البشرية يكمن في الإيمان و رضا الخالق وعدم الخروج على طاعته وتعاليمه.

أيضا كانت هناك دعوة مباشرة للرجل للغور والبحث بشؤون المرأة عندما سألته في الصلاة رقم سبعة . كيف لا تعرف كيف تسعدني ؟

والنقد اللاذع للحرب تجلى من نبض شمس لحبيبها الغائب منذ بداية الرواية والمخلوط بصورة الحرب ولوعة الانتظار المقيت والقاسية التي تعاني منها جميع نساء الأرض والتي مثلتهم شمس.

إذن كانت رواية اعشقني عبارة عن دستورٍ منمقٍ للعيش بحب و أمان وسلام وإحساس بالآخر .

وفقت الكاتبة بأخذنا معها في رحلتها الفضائية الإفتراضية ، لكنها لم تَعد بنا للواقع بل تركتنا نستمتع بالنجوم والجمال والسحر ...